الدراسات القرآنية
عند الدكتور عماد الدين خليل

The Qur'anic Studies According

To Dr. Imad Al-Din Khalil

م. د. عبد المنعم جمعة صالح

دكتوراه في تفسير القرآن الكريم

كلية الإمام الأعظم الجامعة - أقسام كركوك

قسم الدعوة والخطابة والفكر

Dr. Abdel Moneim Gomaa Saleh

munimsalih@gmail.com

PH.D. in Interpretation of the Glorious Quran

Al- Imam Al- Adham University College - Kirkuk

Department of Advocacy, Rhetoric, and Though

abdalmonem@imamaladham.edu.iq

munimsalih@gmail.com

07700022490

الملخص

تدور كتابات الدكتور عماد الدين خليل ودراساته القرآنية حول اتجاهات متعددة في التفسير، منها: الاتجاه التاريخي، والاتجاه العلمي، والاتجاه الإصلاحي، والاتجاه الأدبي، وتتميّز كتاباته بقصرها، فيغلب عليها الجانب المقالي، وخاصة ما يتعلق بالدراسات القرآنية؛ لأنَّه يرى أنَّ القارئ لم يعد له نفس طويل مع الكتاب، فحاول أن يقدّم المادة العلمية عن طريق مقال مرّكز يوصل الفكرة.

استطاع الدكتور عماد الدين خليل معالجة قضايا عصرية عديدة ومتنوعة تمر بها المجتمعات المسلمة، ومن أبرزهاا قضية العدل الاجتماعي، وتوزيع الثروة بين الناس، والتوفيق بنظر ثاقب في آيات الآفاق والأنفس، والاهتمام بالبحث التجريبي، واهتمَّ بالجانب التاريخي مبينًا عوامل نهوض الأمم وتقدمها، وسبب تأخرها واندثارها، ومن اهتمامه في دراساته القرآنية نظرته إلى الكون والطبيعة بعين الأديب، الذي يعتني بجمال الصوت والألوان خدمة للنص والتعبير القرآني.

الكلمات المفتاحية: عماد الدين، التاريخي، الإصلاحي، العلمي، الأدبي.

Abstract:

Dr. Imad Al-Din Khalil's writings and Qur'anic studies revolve around multiple trends in interpretation, including: the historical trend, the scientific, the reformist, and the literary trend. His writings are distinguished by their brevity, and are dominated by the essayistic side, especially those related to Qur'anic studies. Because he believes that the reader no longer has a long time with the book, he tried to present the scientific material through a focused article that conveys the idea.

Dr. Imad al-Din Khalil was able to address many and diverse modern issues that Muslim societies are going through, the most important of which is the issue of social justice, the distribution of wealth among people, and reconciliation with an insightful look into the verses of horizons and souls, and interest in experimental research. He paid attention to the historical aspect, explaining the factors of the rise and progress of nations, and the reasons for their backwardness and extinction. Among his interest in his Qur'anic studies is his view of the universe and nature through the eyes of a writer, who pays attention to the beauty of sound and colors in the service of the Qur'anic text and expression.

keywords: Imad Al-Din, Historical, Reformist, Scientific, Literary

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على رسول الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإنَّ العناية بعلم التفسير قديمة جديدة، فهو من العلوم التي حظيت باهتمام العلماء قديمًا وحديثًا، وكان محل بحثهم ودراساتهم، فتنوعت الدراسات حوله، واتجهت اتجاهات عديدة، فأثمرت تلك الدراسات والجهود المئات من الكتب التي عُنيت بالقرآن وعلومه، فكانت مكتبة تفسيرية تميزت من بين العلوم الشرعية الأخرى.

ومن بين علماء الأمة - الذين كان القرآن محل عنايتهم حفظًا وتدبرًا وتفسيرًا - علماء العراق في العصر الحديث، الذين لم يألوا جهدًا في بذل ما بوسعهم من علم ودراية بعمل دؤوب؛ ليستخرجوا من آيات القرآن الكريم ومعانيها ما يلهم المسلمين ويوقد فيهم جذوة العمل، والسعي؛ لمواكبة الأمم في تقدمها ورقيها، فضلًا عن بيان التغير الاجتماعي، ونموه في مختلف البلدان الإسلامية التي أصابها الوهن، والشتات، وكان من بين علماء العراق (المؤرخ الدكتور عماد الدين خليل)، الذي كان القرآن الكريم موضع عنايته، ولا سيما في مجال تخصصه التاريخي، ودراسة حركة التاريخ، وتطور الأمم وتخلفها، ونمو الحضارات واندثارها، وبيان منهج القرآن في القضايا العلمية، والبحث عن عمارة الأرض على ضوء آيات الكتاب العزيز.

منهج البحث وأهدافه، وأسباب اختيار الموضوع.

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، ويهدف إلى أمرين:

الأول: بيان جهود الدكتور عماد الدين خليل في الدراسات القرآنية، بتتبع مؤلفاته في هذا المجال.

الآخر: الوقوف عند عنايته واهتمامه بالاتجاه التاريخي، والعلمي، والإصلاحي في تفسير القرآن الكريم، وعلى رؤيته التفسيرية التي تنبثق منها ملامح التجديد في هذا العصر، وفق ضوابط ومعالم منهجية واضحة.

ومن أسباب اختيار البحث عدم وجود دراسة، أو بحث مستقل تناول جهود الدكتور عماد الدين خليل في الدراسات القرآنية، وبيان اتجاهه في تفسير القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

نظرًا لمكانة الدكتور عماد الدين خليل العلمية وجهوده في التأليف، تناولت دراسات سابقة البحث عن فكره ومنهجه في الأدب والتاريخ وأسلمة المعرفة، ولم أطلع على دراسة تُعنى ببيان الدراسات القرآنية عند الدكتور عماد الدين خليل، ومن هذه الدراسات:

١. (بناء المقالة في مجموعة آفاق قرآنية لعماد الدين خليل، دراسة تحليلية)، د. نبهان حسون السعدون، بحث منشور في مجلة دراسات موصلية، العدد (١٥)، شباط عام (٢٠٠٧م).

٢. (عماد الدين خليل مفكرًا)، أبو بكر موفق أحمد، رسالة ماجستير، كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة، بغداد، عام (٢٠٠٨م).

٣. (عماد الدين خليل ناقدًا أدبيًا)، ذو النون يونس مصطفى، بحث منشور في مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، المجلد (١٥)، العدد (٥٨)، عام (٢٠٠٩م).

٤. (أسباب التدهور الحضاري وعوامل النهوض في فكر الدكتور عماد الدين خليل: دراسة تحليلية) أبو بكر موفق أحمد، أطروحة دكتوراه، كلية الإمام الأعظم (رحمه االله) الجامعة، بغداد، عام (٢٠٢٠م).

٥. (المشروع الحضاري الإسلامي في فكر الدكتور عماد الدين خليل) محمد وعد االله قاسم يحيى، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر بالقاهرة، عام (٢٠٢٢م).

٦. (المرتكزات القرآنية في الخطاب الفكري عند الدكتور عماد الدين خليل)، عُلا عماد الدين خليل، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، عام (٢٠٢٢م).

٧. (عماد الدين خليل مؤرخًا)، علي عواد خضر، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، (٢٠٢٢م).

وغيرها من الأبحاث التي عُنيت بالجانب الأدبي والنقدي عند الدكتور عماد الدين خليل.

خطة البحث

انتظم البحث في مقدمة وتمهيد، وخمسة مطالب، تناولت في المقدمة أهمية البحث ومنهجه، وأهدافه، وأسباب اختياره، وخطته، وأشرت في التمهيد إلى سيرة الدكتور عماد الدين خليل باختصار، وكان المطلب الأول: القرآن الكريم في مؤلفات الدكتور عماد الدين خليل.

والمطلب الثاني: تناول بحث الدراسات التاريخية بالقرآن الكريم عند الدكتور عماد الدين خليل، أما المطلب الثالث: فكان بعنوان الاتجاه العلمي في القرآن الكريم عند الدكتور عماد الدين خليل، فيما تناول المطلب الرابع: البعد الإصلاحي القرآني عند الدكتور عماد الدين خليل، وكان المطلب الخامس: الاتجاه الأدبي عند الدكتور عماد الدين خليل في القرآن الكريم.

التمهيد

سيرة الدكتور عماد الدين خليل الشخصية والعلمية:

ولُد الدكتور عماد الدين خليل عمر الطالب الطائي في محلة (الشيخ أبو العُلا) بمدينة (الموصل) عام (١٩٤١م)[١].

أكمل دراسته الابتدائية بمدرسة الوطن بالموصل عام (١٩٥٣م)، وحصل على الثانوية عام (١٩٥٨م) في مدرسة الشرقية بالموصل، ثم حصل على البكالوريوس في التاريخ من كلية التربية بجامعة بغداد، عام (١٩٦٢م)، ونال الماجستير من معهد الدراسات العليا بكلية الآداب، بجامعة بغداد عام (١٩٦٥م)، عن رسالته (عماد الدين زنكي) بإشراف الدكتور صالح أحمد العلي، وحصل على الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة عين شمس بمصر عام (١٩٦٨م)، وكان عنوانها (الإمارات الارتقية في الجزيرة الفراتية والشام)، بإشراف الدكتور حسن حبيش[٢].

من أبرز أساتذته العراقيين: الدكتور (صالح أحمد العلي)، والدكتور (عبد العزيز الدوري)، والدكتور (علي المياح)، والدكتور (علي الوردي)، والدكتور (مسارع الراوي)، والدكتور (جواد علي)، والدكتور (جعفر خصباك)، والدكتور (محمد الهاشمي)، والدكتور (حسين أمين)، والدكتور (محمود غناوي الزهيري)، والدكتور (عبد الجليل الزوبعي)، ومن أساتذته المصريين: الدكتور (حسن إبراهيم حسن)، والدكتور (حسن حبيش)، والدكتور (إبراهيم العدوي)، وغيرهم[٣].

---

(١) ينظر: أشهد أن لا إله إلا الله، (سيرة ذاتية)، د. عماد الدين خليل: ص٤٥، (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م)، وموسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، الدكتور عمر محمد الطالب: ص٣٧٣، (مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).

(٢) ينظر: أشهد أن لا إله إلا الله، (سيرة ذاتية)، د. عماد الدين خليل: ص٨١، ٨٨، ٩٢، ١٤٥، ١٥١، ١٦٢، ١٧٨، وموسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، الدكتور عمر محمد الطالب: ص٣٧٣.

(٣) ينظر: أشهد أن لا إله إلا الله، (سيرة ذاتية)، د. عماد الدين خليل: ص١٢٤، و١٥٢، ولولا خشية الإطالة لتوسعت في سيرة الدكتور عماد الدين خليل، ولكنه أغنانا عن هذا - جزاه الله خيرًا - في كتابه (أشهد أن لا إله إلا الله).

عمل محاضرًا في مدرسة الأماني المسائية ببغداد عام (١٩٦١م)، وعُين عام (١٩٦٧م) مشرفًا على المكتبة المركزية بجامعة الموصل، ثم كُلّف بتدريس التاريخ في جامعة الموصل عام (١٩٦٧م) حتى عام (١٩٧٧م)، وعمل مديرًا لمكتبة المتحف الحضاري في الموصل عام (١٩٧٧م - ١٩٨٧م)، ثم انتقل إلى كلية الآداب بجامعة صلاح الدين بأربيل أستاذًا للتاريخ الإسلامي من عام (١٩٨٧م حتى ١٩٩٢م)، ثم عمل في كلية التربية بجامعة الموصل من عام (١٩٩٢م) حتى عام (٢٠٠٠م)، وأستاذًا زائرًا في جامعة العلوم والتكنلوجيا بصنعاء عام (١٩٩٥م)، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي بالإمارات العربية المتحدة من عام (٢٠٠٠م) حتى عام (٢٠٠٢م)، وجامعة الزرقاء بالأردن عام (٢٠٠٣م)، ثم عاد إلى كلية الآداب بجامعة الموصل عام ٢٠٠٣م، ثم أُحيل على التقاعد عام ٢٠١٠م بعد بلوغه السنَّ القانوني[١].

وللدكتور عماد الدين نشاطات عديدة منها: انتمى لجماعة الإخوان المسلمين في مرحلة الإعدادية، ثم غادرها، وعاد إلى الجماعة عام (١٩٦٠م)، ثم الجبهة الإسلامية، ثم ترك الارتباطات الحزبية بعد حلّها، فتفرغ لإكمال دراسته العليا والتأليف[٢]، وعضو (اتحاد العالمي لعلماء المسلمين)، وعضو (رابطة الأدب الإسلامي العالمية)، وعضو (اتحاد المؤرخين العرب)، وعضو (اتحاد الأدباء)، وعضو (مجلس جامعة صلاح الدين والترقيات ١٩٨٩م - ١٩٩١م)، وعضو (مجلس جامعة الموصل ٢٠٠٣م - ٢٠٠٥م)[٣].

(١) ينظر: أشهد أن لا إله إلا الله، (سيرة ذاتية)، د. عماد الدين خليل: ص١٦٣، ١٦٩، ٢٩٧، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٩٥، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٢٨، ٨٢٣، وموسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، د. عمر محمد الطالب: ص٣٧٣ - ٣٧٤.

(٢) ينظر: أشهد أن لا إله إلا الله، (سيرة ذاتية)، د. عماد الدين خليل: ص١٤٠ - ١٤١.

(٣) ينظر: أشهد أن لا إله إلا الله، (سيرة ذاتية)، د. عماد الدين خليل: ص٢٩٧، وموسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، د. عمر محمد الطالب: ص٣٧٤.

مؤلفاته[١]:

أثرى الدكتور عماد الدين خليل المكتبة بمؤلفات متنوعة[٢]، فمن كتبه في التاريخ: التفسير الإسلامي للتاريخ، تحليل للتاريخ الإسلامي، دراسة التاريخ، مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية، وغيرها.

ومن كتبه الفكرية: لعبة اليمين واليسار، تهافت العلمانية، مدخل إلى موقف القرآن من العلم، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، آفاق قرآنية، مع القرآن في عالمه الرحيب، الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي، مؤشرات إسلامية في زمن السرعة، وغيرها.

ومن كتبه في الأدب الإسلامي والدراسات الأدبية: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، في النقد الإسلامي المعاصر، فوضى العالم في المسرح الغربي، الفن والعقيدة، الجوع والكلمة، الإعصار والمأذنة، جداول الحب واليقين، ابتهالات في زمن الغربة، الرحيل[٣]، وغيرها.

وله مشاركات في الموسوعات العلمية منها: (موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية)، و(موسوعة دار الشروق)، و(موسوعة مؤسسة الوقف التركية)، و(الموسوعة العلمية المتطورة)[٤].

المطلب الأول: القرآن الكريم في مؤلفات الدكتور عماد الدين خليل.

لعل من الأهمية بمكان قبل الولوج إلى دراسة منهج الدكتور عماد الدين خليل وطريقته، وتعاطيه في فهم النص القرآني، واستدلالاته، أن أُقدّم كتبه التي تدخل ضمن هذه الدراسة، مبيّنًا باختصار أنَّ كتاباته ليست تفسيرًا لكتاب الله تعالى بالمعنى المتعارف عليه، فهو لم يأخذ سورة كاملة أو جزءً من القرآن الكريم ليفسر آياته، بحكم عدم تخصصه.

(١) أغلب كتب الدكتور عماد الدين خليل مطبوعة.

(٢) للدكتور عماد الدين خليل أكثر من ستين مؤلفًا متنوعًا في التاريخ، والفكر الإسلامي، والأدب، وطبعت جميعها طبعات عديدة، كدار ابن كثير ببيروت، ودار السلام بالقاهرة، ودار العلم للملايين ببيروت، وغيرها.

(٣) ينظر: موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، د. عمر محمد الطالب: ص٣٧٤ – ٣٧٦، ووردت قائمة أسماء هذه الكتب في معظم كتبه، ومنها كتاب دراسات قرآنية، حيث تمَّ تقسيم الكتب حسب الموضوعات، مع بيان دار النشر، وعدد الطبعات للكتاب: ينظر: ص٣٤١ - ٣٤٨، (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م).

(٤) ينظر: موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، د. عمر محمد الطالب: ص٣٧٤.

وقد أفصح عن ذلك بقوله: «إنَّها رؤية معاصرة للمفاهيم القرآنية التي أُريد لها أن تكسر حواجز التاريخ، وتطل على كل عصر... وهو ليس تفسيرًا لكتاب الله – وحاشاه – فأنا لا أدعيّ القدرة على هذا العمل حتى في حدوده الدنيا، وهو ليس من اختصاصي...، وإنَّما هو تعبير عن طريقة تعامل ملايين من الناس مع كتاب الله.... إنَّها في الحقيقة مقاربة وليس تفسيرًا»(١).

بدأ الدكتور عماد الدين خليل رحلته مع القرآن الكريم، بقراءة ودراسة التفاسير –وخاصة المعاصرة، والدراسات القرآنية، التي شكلّت في خزانته العقلية مزيدًا من الفهم والإعجاب بهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، يعيش مع بلاغة الكلمة وحسن التعبير، وتأمل الأديب مع الكتاب العزيز بأسلوب آسر، فضلًا عن حضور الندوات والمحاضرات، والمشاركة في مناقشة الرسائل الجامعية التي تعتمد النص القرآني، وما لبث أن أتت مرحلة تعامله مع النص القرآني، بحثًا واستقصاءً ودراسة وتحليلًا، أثمرت كتبًا، ومقالات عديدة(٢).

وسيكون محور هذه الدراسة بالرجوع إلى معظم كتب الدكتور عماد الدين خليل المطبوعة، ومعرفة مقارباته لفهم لكتاب الله تعالى، وتعاطيه مع النص القرآني من حيث الاتجاه أو المنهج(٣)، وإن كان بعض عنوانات الكتب يبدو للوهلة الأولى أنَّه لا صلة له بالقرآن الكريم، إلا أنَّ القارئ لهذه الكتب سيجد مساحة التعاطي والاستدلال بآيات القرآن الكريم واضحة جليّة، وهذا ما أكده لي الدكتور عماد الدين خليل، ومن أبرز الكتب(٤).

١. أصول تشكيل العقل المسلم، (مطبعة منير، بغداد، ط١٩٨٥،١م).
٢. آفاق قرانية، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م).
٣. آيات قرآنية تطلّ على العصر، (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠١٨م).
٤. التفسير الإسلامي للتاريخ، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٩١م).
٥. دراسات قرآنية، (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م).

---

(١) ينظر: آيات قرآنية تطلّ على العصر، د. عماد الدين خليل: ٧ - ٨ (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م).

(٢) ينظر: دراسات قرآنية، د. عماد الدين خليل: ص١٧، ١٩، ٢٣.

(٣) الطريقة تُعنى بالشكل والمظهر العام للتفسير، وأما المنهج فهو المضمون أو ما يُعنى بالدراسة الموضوعية. ينظر: الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث، د. عبد المجيد محمود: ١١ - ١٢ (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م).

(٤) ذكر لي الدكتور عماد الدين خليل أنَّ هذه أهم الكتب التي يمكن لي البحث فيها، وينظر: دراسات قرآنية، د. عماد الدين خليل: ص١٩ - ٢٠.

٦. قالوا عن الإسلام، (الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط١، ١٩٩٢م).
٧. القرآن الكريم من منظور غربي، (مكتبة المهتدين، دار الفرقان، الأردن، عمان، ط١، ١٩٩٦م).
٨. محاضرات في التاريخ والحضارة الإسلامية، (مكتبة دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠م).
٩. مدخل إلى إسلامية المعرفة، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٣، ٢٠٠٠م).
١٠. مدخل إلى الحضارة الإسلامية، (المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م).
١١. مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م).
١٢. مع القرآن في عالمه الرحيب، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م).
١٣. مقال في العدل الاجتماعي، (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م).

نلحظ مما سبق أنَّ الدكتور عماد الدين خليل لم يؤلّف كتابًا بتفسير القرآن الكريم، وإنَّما تناول آيات النص القرآني بمقالات وبحوث متعددة، محاولًا استكشاف ما فيها من مفاهيم ومعاني ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالبعد التاريخي، والعلمي، والاجتماعي، والإصلاحي، والنفسي، والأدبي، والذي سيكون محور المطالب الآتية إن شاء الله تعالى.

ويشير الدكتور عماد الدين خليل إلى أهمية المقال وتفضيله أحيانًا على البحوث الطويلة؛ لتقديم الفكرة المراد إيصالها إلى القارئ، معللًا ذلك بأنَّه «في عصر السرعة، يصبح فنَّ المقال القصير ذي الصفحة والصفحتين، ضرورة من الضرورات، خاصة إذا تذكرنا أنَّ الفكرة الواحدة قد تعالج بكتاب كامل ذي أبواب فصول، وقد تضغط لكي تصل إلى هدفها في صفحة أو صفحتين»(١).

ومعلوم لدى الدارسين والباحثين أنَّ طريقة المفسرين أو منهجهم تعتمد المنهج العام الذي يبدأ بتفسير القرآن الكريم من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، أو يفرد سورة من سور القرآن بالتفسير، أو المنهج الموضوعي الذي يعتمد انتقاء آيات معينة في موضوع ما كآيات الطلاق، «أو المنهج المقالي الذي اتّسع كثيرًا في تفسير الآيات القرآنية أو الاستشهاد بها في موضوع ما؛ ممّا يضفي عليها نوعًا من التفسير يدخله مجال التجديد، ولكنه يقف به عند مستوى المقال، ولا ينهض به إلى مستوى منهج آخر كالمنهج الموضوعي، وهذا المنهج - المقال

(١) ينظر: آيات ينظر: آيات قرآنية تطلّ على العصر، د. عماد الدين خليل: ٧.

التفسيري – أتاح للمفسر الحديث الإنطلاق الواسع في التعبير عن مشاعر الأمة تجاه الواقع المعقد في حياتها، وإلقاء الضوء على هذه المشكلات، والبحث عن حلولها من واقع القرآن الكريم أو الاستشهاد بآياته»[1].

والمتتبع لكتابات الدكتور عماد الدين خليل يجدها تنضوي تحت هذين المنهجين، الموضوعي، كما في كتبه التفسير الإسلامي للتاريخ، ومدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، ومقال في العدل الاجتماعي، أو المقال التفسيري، كما في آفاق قرآنية، ومع القرآن في عالمه الرحيب، وهذا التصنيف يقوم على التفريق بين المنهج والاتجاه - كما سبق -، وسيتناول البحث بمطالبه المتعددة الاتجاه العام لكتابات الدكتور عماد الدين خليل، ورؤيته التفسيرية، وتعاطيه مع آيات القرآن الكريم، وفق مقارباته التفسيرية كما سمّاها في كتبه.

المطلب الثاني: الدراسات التاريخية بالقرآن الكريم عند الدكتور عماد الدين خليل.

إنَّ العناية بالتاريخ الإسلامي انعكاس حقيقي للمدّ الحضاري الذي تميّزت به الأمة منذ بعثة النبي ﷺ ، بما فيه من وقائع وأحداث على مدى قرون من الزمن، ومن هنا تنبثق رؤية المؤرخ الإسلامي الذي يسعى جاهدًا إلى توظيف النص القرآني لدراسة مجريات الأحداث، ونشوء الحضارات، وعوامل إزدهارها وتطورها، وأسباب انهيارها واندثارها.

فالاتجاه التاريخي هو الذي يجعل من عِبَر التاريخ ووقائعه، وأحداثه المتوالية، وسننه الثابتة في القرآن الكريم، أساسًا لفهم آيات القرآن الكريم[2].

فالتفسير الإسلامي للتاريخ ينبثق عن رؤية فكرية خاصة، وهي تختلف عن الرؤية الوضعية، في أنَّها تحيط علمًا بوقائع التاريخ، بأبعادها الزمنية الثلاثة، (الماضي، والحاضر، والمستقبل)، وببعدها الرابع... الذي يغور في أعماق النفس البشرية، فيلامس فطرة الإنسان وتركيبه الذاتي، والحركة الدائمة في كيانه الباطني، فضلًا عن العقل والعاطفة والوجدان... وما تؤول إليه هذه جميعًا من معطيات تمنح حركة التاريخ أبعادها الحقيقية[3]، وإنَّ من الملامح الأساسية التي

(١) ينظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شريف: ص٣٣٧ (دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

(٢) ينظر: التحرير في تاريخ التفسير، د. أحمد الشيمي: ص١٣٦ (دار الهاني، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

(٣) ينظر: التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل: ص١٣ (دار العلم للملايين، بيروت، ط٥،

تُميّز المنهج الإسلامي للتاريخ عن سائر التفاسير أنه يفرد للبعد الغيبي ماضيًا، وحاضرًا، ومستقبلًا، مساحات واسعة ويجعله أحد الشروط الأساسية للإيمان(١).

اهتمَّ الدكتور عماد الدين خليل بالجانب التاريخي اهتمامًا متميزًا، وكان شغله الشاغل بحكم تخصصه أولًا، واتجاهه الإسلامي ثانيًا، فسعى إلى دراسة التاريخ، وتحليل مادته وفق السنن الإلهية، التي لا تتبدل ولا تحابي أحدًا، مستدلًا بآيات القرآن الكريم التي شغلت آياته مساحة واسعة.

يرى الدكتور عماد الدين خليل أنَّ «السنن الإلهية في النفس والطبيعة تنبض دائمًا بالحضور الإلهي خَلْقًا وشهودًا...، إنَّنا بمجرد أن نرجع إلى كتاب الله فإنَّنا سنجد أنفسنا - عبر شبكة من الآيات البيّنات – قبالة هذا الاتصال ذي (الديمومة) الأبدية بين الله سبحانه وبين خلقه، وبينه وبين النواميس التي أُريد لها أن تنظّم صيرورة هذا الخلق»(٢)، ويؤكد أنَّ السنن والنواميس في القرآن الكريم لا تتحدد ولا تأسر نفسها بتفاصيل وجزئيات موقوتة، بل تمتد مرنة منفتحة شاملة؛ لكي تضم أكبر قدر من الوقائع... وأنَّ حركة أيَّ جماعة بشرية في التاريخ ليست اعتباطية، قال تعالى ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾(٣)، وأنَّ سنن الله في التاريخ ثابتة ماضية إزاء الجماعات البشرية التي تتنكب عن الطريق بغض النظر عن حجمها ودورها، ومنجزها الحضاري، كما يؤكدها القرآن الكريم في كثير من المواضع(٤).

وإلى هذا المعنى يشير الشيخ الشعراوي في تفسيره قائلًا: «السنة هي الطريقة والعادة المتبعة والموجودة، فهل وجدوا في الرسل السابقين، والأمم السابقة أنَّ الله أرسل رسولًا ثم خذله، أو تخلى عنه، ولم يهلك أعداءه والمكذبين به، ويؤكد سبحانه أنَّ سنته لا تتبدل، ولا تتحول، فلا أحد يستدرك عليه أو يُغير فعله»(٥).

١٩٩١م).

(١) ينظر المصدر السابق: ١٣٢.

(٢) ينظر: في دائرة الضوء (مقالات إسلامية)، د. عماد الدين خليل: ص١٣٤ (دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م).

(٣) سورة فاطر، آية: ٤٣، وينظر: التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل: ص١٠٩ - ١١٠.

(٤) ينظر: التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل: ص١١٤.

(٥) ينظر: تفسير وخواطر الإمام، الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٦٧٧/١٤ (دار النور، القاهرة، ٢٠١٠م).

ويؤكد الدكتور عماد الدين خليل، أنَّ الحضارة الإسلامية هي حضارة التجدد والانبعاث؛ لأنها إنعكاس بالضرورة للتأسيسات المركزية في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ... فإنَّها قادرة على أن تشكل نسقها الحضاري المتميز القائم على قاعدتي الوحي والوجود معًا[١].

وحركة التاريخ كما يفسرها الدكتور عماد الدين توجب علينا «أن نتعلم من تجربة التاريخ.. وإنَّ القرآن الكريم ليذكرنا بهذا المَرّة تلو المَرّة، قال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[٢]، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[٣]، وحينذاك سنعرف، كيف نفيد من عامل الزمن، وكيف ننطلق إلى أهدافنا بإدراك أشد إضاءة، وفهم أكثر عمقًا»[٤].

والمناسبة في الآيات هي «الموعظة بحال المكذبين؛ لأنَّ إنكارهم البعث، تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم، وإجرام، والوعيد بأن يصيبهم مثل ما أصابهم»[٥]، فالسير معطوفًا بالفاء، (فانظروا)، كأنَّ النظر والتدبر هو المراد من السير، وبذلك يكون سير اعتبار، وأما العطف (ثم انظروا)، هنا السير قد يكون للمصلحة كالتجارة والزراعة، أي للعمل، وعليه أن يتفكر أيضًا، فيجمع بين سير المصلحة وسير الاعتبار، فقريش كانت تذهب بقوافلها للشام، وتمر على آثار المكذبين كقوم عاد وثمود، وكان عليهم أن يأخذور العِبرة في أثناء سعيهم لتجارتهم[٦].

وهكذا تتضح لنا رؤيته للتفسير الإسلامي للتاريخ من وحي القرآن الكريم، الذي يحدد ملامحه، ويبيّن معالمه، وفق نواميس الكون المخلوق لله رب العالمين، ويؤكد أنَّ «البشرية فُطرت على التغاير، والتنوع والاختلاف، وقد قالها القرآن الكريم بوضوح ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾﴾[٧]، (ولذلك خلقهم)، أي خلقهم للتغير، والتنوع، والاختلاف، وهي من جملة الشروط التي تعين على تحريك الحياة

(١) ينظر: في دائرة الضوء (مقالات إسلامية)، د. عماد الدين خليل ص١٣٦ – ١٤٣ بتصرف.
(٢) سورة الأنعام، آية: ١١.
(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٧.
(٤) ينظر: آفاق عودة الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل: ص٣٤ (دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م)، والكتاب بالاشتراك مع الدكتور عبد الحليم عويس، والدراسة على قسمين الأول للدكتور عماد الدين خليل ، وهو محل الاقتباس.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ٥٠٨/٨ (دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠١٢م).
(٦) ينظر: تفسير وخواطر الإمام، الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣١/٦.
(٧) سورة هود، الآيات: ١١٨ – ١١٩.

البشرية ودفعها إلى الأمام، وتطهيرها من السكون والفساد﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾(١)، ونظرية نهاية التاريخ ولدت كي تموت؛ لأنَّها ترتطم إبتداءً بقوانين التاريخ نفسه»(٢).

وعن منهجية القرآن في تعاطيه للتاريخ يشير الدكتور عماد الدين خليل إلى أنَّ المنهج الجديد الذي يطرحه القرآن الكريم، يؤكد أكثر من مرة على أنَّ التاريخ لا يكتسب أهميته الإيجابية إلا بأن يُتخذ ميدانًا للدراسة والاختبار، وأنَّ السنن والنواميس التي تسيّر حركة التاريخ وفق منعطفها الذي لا يخطئ وعبر مسالكها المقننة، التي ليس إلى الخروج عليها سبيل ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾(٣).

«فالقرآن لا يؤكد ثبات هذه السنن وديمومتها فحسب، ولكن يحولها في الوقت نفسه إلى واقع حركي، يفرض على الجماعة المؤمنة أن تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات البشرية السابقة إلى الدمار، وأن تُحسن التعامل مع قوى الكون والطبيعة، مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾»(٤).

ولا يخفى على المتتبع لآيات القرآن الكريم وهي تتوالى في الحديث عن الأمم السابقة، كيف نشأت، وتطورت، ثم ما حلَّ بها يوم أن أعرضت عن منهج الله تعالى، فالقرآن الكريم يقدّم للإنسانية منهجًا واضح المعالم، مترامي الأطراف، وليبين لهم الحكمة من ذكر الأحداث التأريخية، ومن هذا التصور يشير الدكتور عماد الدين خليل إلى أنَّ «القرآن الكريم ما جاء ليكون (بحثًا تاريخيًا)، يستقصي كافة نشاطات الأنبياء (عليهم السلام)، .. وإنَّ ما قدّمه كان لإدراك الخطوط العريضة لمسيرة التاريخ البشري، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٢) ينظر آفاق عودة الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل: ص٧٩ – ٨٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧٧. وينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل: ص٢٣ -٢٤ (المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، والتفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل: ص٩.

(٤) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٧ – ١٣٨، وينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل: ص٢٥، وحول إعادة تشكيل العقل المسلم، د. عماد الدين خليل: ص٣٦ - ٣٧ (مبطعة منير، بغداد، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).

مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1]، فالهدف من إيراد القصص والعروض التاريخية مطالعة جادة وواعية للتاريخ؛ لتقديم خلاصات التجارب البشرية عِبرًا يسير عليها أولو الألباب، وتقديم الدليل على علم الله الواسع الذي أحاط بحركة التاريخ ماضيًا وحاضرًا، ومستقبلًا، قال تعالى ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وبهذا المعنى قال صاحب التحرير والتنوير: «إنَّ تماثل أحوال الأمم تلقاء دعوة أنبيائها مع اختلاف العصور يزيده علمًا بأنَّ مراتب العقول البشرية متفاوتة، وأنَّ قبول الهدى هو منتهى ارتقاء العقل....، وأنَّ المصارعة بين الحق والباطل شأن قديم، وهي من النواميس التي جُبل عليها النظام البشري، فلا يحزنه مخالفة قومه، ويزيده علمًا بسمو أتباعه الذين قبلوا هداه، واعتصموا من دينه بعراه»[3].

والجانب الإنساني للحضارة في القرآن الكريم -كما يراها الدكتور عماد الدين خليل-، تبدأ بخلق آدم (عليه السلام)، فمنح الله تعالى الإنسان القدرة العقلية على التعلم، والمقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والإبداع، والإرداة الحرة لاختيار أسلوب الحياة التي يقودها إليها فكره، ودوافعه، النفسية، والجسدية، ومسألة الاستخلاف مرتبطة بالخيط الطويل العادل من طرفيه، (العمل والإبداع)، و(مجانبة الفساد)، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[4].

إنَّ البعد الإنساني في الحضارة الذي ينطلق منه الدكتور عماد الدين خليل لا يغفل الجانب المادي أو (التجريبي)، بل تضع ذلك من أولوياتها، ففي قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[5]، وقوله تعالى ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[6]، وغيرها من الآيات الكريمة، ترى أنَّ «القرآن الكريم يضعنا في قلب الطبيعة، على مستوى الكون والعالم، ويختار لنا موقعًا (تجريبيًا) يعتمد النظر والتمعّن والفحص والتجريب من أجل

(١) سورة غافر، آية: ٨٧.

(٢) سورة هود، آية: ١٢٠، وينظر: التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل: ص١٠٦ - ١٠٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ٦٢٤/٥.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٦٥، وينظر: التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل: ص١٩٠ - ١٩٣.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٢٠.

(٦) سورة يونس، آية: ١٠١.

الكشف، والابتكار، والإبداع، ومن أجل ألا نفقد توازننا الحضاري فنجنح باتجاه الروح أو الأخلاق، ونهمل التكييف، والتطوير الماديين الملازمين لأيّ حضارة متوازنة»[١]، فمنهج البحث الحسيّ (التجريبي) الذي كشف النقاب عنه العقل المسلم خصوصًا، والعقل البشري عمومًا، ونظّمه، وأكّده، ودعا إليه كتاب الله تعالى[٢].

ثم تبرز ظاهرة أسباب تدهور الحضارات وزوالها، ووفق السنن الإلهية التي لا تحابي أحدًا، فالقرآن الكريم يحدد بجلاء ووضوح - بحسب متابعة الدكتور عماد الدين -: أنَّ الطغيان والترف، وانعدام التوازن، واختفاء العدل، من أهم أسباب زوال الملك، والتدهور -سواءً كانوا أفرادًا أو جماعات-؛ حيث يقول عن قوله تعالى ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾[٣]، «إنَّ سنة الله لا تتبدل، ولا تتغير، تعمل عملها في حركة التاريخ، وتتخذ من المترفين[٤] أداة تسوق بها القرى، والدول، والجماعات، والأمم نحو مصائرها المفجعة»[٥].

المطلب الثالث: الاتجاه العلمي في القرآن الكريم عند الدكتور عماد الدين خليل

إنَّ موقف القرآن الكريم من العلم واضح لا غموض فيه، وتجد هذا في المئات من الآيات الكريمة، التي شكلت مساحة واسعة بين دفتي المصحف الشريف، وصاغت منهجًا محكمًا لبيان أهمية العلم، وارتباط الإنسان بالوحي المنظور، والمقروء، وعلى وفق رؤية قرآنية واضحة المعالم.

فالتفسير العلمي للقرآن الكريم «هو التفسير الذي يتحدث عن الاصطلاحات العلمية في القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها»[٦]، وربما «يتداخل

(١) ينظر: التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل: ص٢١٦.

(٢) ينظر: حوار في المعمار الكوني، د. عماد الدين خليل: ص١٥١ (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م).

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ١١ – ١٢.

(٤) الترف: هو التنعُّم، فلما زادت الهمزة (أترف) فمعناها أخذ نعيمًا وأبطره، فالله تعالى أعطاهم نعيمًا لكنهم لم يؤدوا حقه، فجرَّ عليهم العذاب، وكان سبب هلاكهم. ينظر: تفسير وخواطر الإمام، الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٢٠/١٢.

(٥) ينظر التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل: ص٢٧٥.

(٦) ينظر: التفسير نشأته – تدرجه - تطوره، أمين الخولي: ٤٩٠ (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١،

الإعجاز العلمي للقرآن الكريم باصطلاح التفسير العلمي في كثير من أحواله، والسبب في ذلك أنَّ التفسير العلمي إنَّما هو مسلك مؤدي للإعجاز العلمي القرآني»[1].

وتناولت دراسات عديدة هذا الاتجاه وبيّنت نشأته، وشروطه، وضوابطه، وأنواعه، ومواقف العلماء منه سلبًا أو إيجابًا، وأدلة كلٍ منهم[2].

والذي يهمنا في هذا المطلب الوقوف عند اهتمامات الدكتور عماد الدين خليل في الجانب العلمي لآيات القرآن الكريم في كتاباته، وكيف تعامل معها، ووظّفها لخدمة النص القرآني؛ فهو يرى «أنَّ المفسر المعاصر يتوجّب عليه أن يُعمل عقله وقدراته في مجال تخصصه إذا توفرت لديه، لإدراك طبيعة العلاقة بين طرفي المعادلة، الآية القرآنية، والمقولة العلمية، مستفيدًا من جهة أخرى من الاتجاهات الحديثة التي نضجب أخيرًا في مجال التفسير القرآني، تلك الاتجاهات التي تعتمد مفردات القرآن نفسه، ومنحنياته البيانية، لفهم مضامينه ومعانيه... ومن هذا التوازن في القدرة العلمية (التخصصية)، والقدرة التفسيرية (البيانية)، يمكن للمفسر أن يتحرك للكشف عن الدلالات المقصودة للآيات العلمية في كتاب الله»[3].

وتبرز لنا مسألة مهمة في دراسات الدكتور عماد الدين خليل لآيات القرآن الكريم، حيث يشير في أكثر من مناسبة إلى أهمية التطبيق العملي والعمل بضمون دعوة القرآن الكريم الملحّة «إلى اعتماد حقائق العلم وكشوفاته؛ لتطوير الحياة، وترقية الحضارة البشرية بمزيد من التطبيقات (التقنية) على كافة المستويات»[4].

١٩٨٢م)، والتعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين: ص١٢٥ (دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م).

(١) ينظر: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، دراسة في الإشكالات والمقتضيات، د. محمد رشيد بو غزالة: ص٣٣٨ (بحث منشور في مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، ديوان الوقف السني، العراق، العدد (٢٧)، الجزء الخامس، سنة ٢٠١٩م).

(٢) من أبرز هذه الدراسات: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، واتجاهات التفسير في العصر الحديث، مصطفى محمد الحديدي، واتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبد المجيد المحتسب، والتفسير العلمي للقرآن للدكتور أحمد عمر أبو حجر، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شريف، وغيرها.

(٣) ينظر: مدخل إلى موقف القرآن من العلم، د. عماد الدين خليل: ص٧١ - ٧٢ (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

(٤) ينظر المصدر السابق: ص١٣٦.

ومن أبرز هذه الاهتمامات في ميدان العلم التي تناولها الدكتور عماد الدين خليل في كتاباته:

١. **البعد الزمني**

ففي القرآن الكريم إشارات ولمحات معجزة عن البعد الزمني في الكون، والملفت للأنظار بهذا الصدد حشد من الآيات، واللمسات، والإشارات منبثة في حنايا السور، نذكر منها هذه الآيات الموحية ذات الدلالة العميقة، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾[١]، وقال تعالى ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٢]، ففي هذه الآيات - وغيرها – ترابطًا وانسجامًا رياضيًا دقيقًا، وأنَّ فيها تأكيدًا مستمرًا على الحقيقة (الطبيعية) الكبرى التي لم تتكشف جوانبها للعلم إلا أخيرًا، هي أنَّ الزمن في الأرض والزمن في امداء الكون ليسا سواءً، وأنَّ هناك فرقًا شاسعًا بين الوحدة الزمنية الأرضية، والوحدة الزمنية الكونية[٣].

٢. **عالم الحيوان**

وما لفت انتباه الدكتور عماد الدين خليل في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تتحدث عن عالم الحيوان، من حيث أنواعه، وفصائله، وغرائزه، وطبائعه... «إنما هو (دليل) على إعجاز الله في خلقه، وتدبيره الدائم لمخلوقاته..، فمنح الحيوان قدرة على غريزية في البحث عن الطعام وتوفيره وخزنه..، قال تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٤]، وثمّة ممارسات حيوانية معقدة لصنع الطعام، أشد إعجازًا يمكن أن نتبيّنها في صناعة اللبن والعسل، أية غريزة مودعة في الأنعام والنحل لانتاج هذين النوعين الضرورين من الطعام، ليس للحيوان فحسب بل للإنسان كذلك، قال تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[٥].

---

(١) سورة يونس، آية: ٤٥.

(٢) سورة السجدة، آية: ٥.

(٣) ينظر: مع القرآن في عالمه الرحيب، د. عماد الدين خليل: ص٣٧ – ٣٨ (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م)، دراسات قرآنية، د. عماد الدين خليل: ص٢٥٩ – ٢٦٢، آيات قرآنية تطلّ على العصر، د. عماد الدين خليل: ص١٢ (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م).

(٤) سورة هود، آية: ٦.

(٥) سورة النحل: آية ٦٦، وينظر: مع القرآن في عالمه الرحيب، د. عماد الدين خليل: ص١٧٤ - ١٧٦.

وهذه الحقائق العلمية عن إخراج اللبن في ضروع الأنعام من بين فرث ودم لبنًا خالصًا لم تكن معروفة زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، وورودها بهذه الإشارات البالغة الدقيقة، والكمال، والشمول والإيجاز، ونزولها في كتاب أُنزل على نبيّ أميّ لممّا يقطع بأنَّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله»[1].

٣. عالم النبات

ومما أثاره الدكتور عماد الدين خليل في قراءته المتأنية لكتاب الله تعالى اهتمام القرآن الكريم بعالم النبات، وعدم وقوفه عند جانب الضرورة للنبات؛ لأنه غذاء الإنسان والحيوان، بل تجاوزه إلى الوجه الجمالي لعالم النبات، كما قال تعالى ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[2]، إنَّها عملة ذات وجهين الضرورة والجمال، فالضرورة والجمال أحد الملامح الأساسية التي تميّز بني آدم عمّن دونهم من الخلائق، الإحساس بالجمال والتشوف إليه[3].

وثمّة لمحات أخرى يشير إليها الدكتور عماد الدين عن عالم النبات «فمن التربة الواحدة والماء الواحد، يخرج لنا مهرجانًا من الأشجار، والأثمار، والأزهار، مختلفة في طعومها، متغايرة في ألوانها، متباينة في أشكالها، وأحجامها وتراكيبها، إنه الإبداع الإلهي الذي صنع منه كل هذا، قال تعالى ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾[4]، وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾[5]، ولمحات أخرى لم يكشف عنها العلم إلا أخيرًا، لمحات التركيب الزوجي في دنيا النبات، قال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا

(١) ينظر: الحيوان في القرآن الكريم، د. زغلول راغب محمد النجار: ص٣٢١ (دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م).

(٢) سورة النمل، آية: ٦٠.

(٣) ينظر: مع القرآن في عالمه الرحيب، د. عماد الدين خليل: ص٢٠٢ - ٢١٤ .

(٤) سورة الرعد، آية: ٤.

(٥) سورة فاطر، آية: ٢٧.

مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[١].

٤. المطر والرياح

يشير الدكتور عماد الدين إلى قضية نزول المطر، وحفظه بباطن الأرض، ونزوله على قدر حاجة البشر، ومروره بمراحل متعددة، فضلًا عن علاقته بالرياح وتحريك السحب بتتبع مضامين آيات القرآن الكريم في هذا الخصوص، فيرى أنَّ نقطة البداية تتمثل في تكوين هذا الخزين الاستراتيجي الهائل من الماء في البحار والمحيطات، مرحلة (التخزين)، قال تعالى ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾[٢]، ثم تأتي عملية (التسكين) المدهشة التي تلجم مياه البحار والمحيطات أن تطغى على الأرض فتغرقها، و(التمليح) في مياه البحار والمحيطات لحفظها من الفساد، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾[٣]، ثم مرحلة (التبخير) وتحويل المياه إلى مياه صالحة للشرب من حرارة الشمس التي سخرّها الله تعالى بوضعها بمكان مناسب عن الأرض، قال تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾[٤]، وتأتي المرحلة الخامسة (التحريك)، بتسخير الرياح لتحويل هذا الكمّ الهائل من البخار المعلّق في سماوات البحار والمحيطات، إلى سماء اليابسة، استعدادًا لنزول المطر، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾[٥]. ثم تكتمل الحالة السادسة عند تحويل الحالة البخارية إلى سائلة بتلقيح السالب بالموجب، وتشكيل القطرات العذبة، التي تشدّها جاذبية الأرض إلى التساقط مطرًا على الأرض ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾[٦].

وعلماء الفلك يشيرون إلى هذه المعاني بقولهم: «إنَّ الريح هي الحركة الأفقية للهواء، فوق سطح الأرض، لذلك فإنَّ التيارات الصاعدة لا تشكل ريحًا بالرغم من أهميتها في تكوين الطقس ونقل الحرارة والرطوبة إلى الأعلى، والرياح في القرآن الكريم موصوفة بأوصاف

(١) سورة يس، آية: ٣٦، وينظر: مع القرآن في عالمه الرحيب، د. عماد الدين خليل: ص٢١٥ – ٢١٨.
(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٩.
(٣) سورة الفرقان، آية: ٥٣.
(٤) سورة النور، آية: ٤٣.
(٥) سورة الروم، آية: ٤٨.
(٦) سورة الحجر، آية: ٢٢، وينظر: دراسات قرآنية، د. عماد الدين خليل: ص٥٧ – ٦٤.

عديدة، فتقدّم الفيزياء أسبابًا وصورًا كثيرة للرياح لا تخرج عن شمول هذه المدلولات ولكنها تفيدنا بكيفية صيرورتها، بينما يختم القرآن الكريم فعلها بالنتائج المتحققة من فعلها (ازدهار أو دمار)»[1].

٥. الفلك والشمس والقمر

لم يألُ جهدًا الدكتور عماد الدين خليل، وهو يتابع الآيات القرآنية التي تشير بوضوح إلى حركة الكون وما فيه من أفلاك، وأنَّ حركة هذه الأفلاك تسير بنظام دقيق ومحكم، ومحاولة توظيف هذه المعاني في حركة الكون وتجدده، وتطوره بحياة المسلم في الدنيا وحركته وتطوره، وينبغي أن يعمل بهذه المفاهيم؛ ليكون من أفضل الناس تقدّمية في هذا العالم، وأحرصهم على التغيير والتجديد.

يرى الدكتور عماد الدين خليل أنَّ الكون في المنطوق القرآني والعلمي معًا، ينطوي على اثنتين (الكينونة والصيرورة)، فالله (سبحانه وتعالى) لا يكتفي بأن يقول للظواهر والكائنات والأشياء (كن فتكون)، وإنَّما يأمرها بأن تتحول وتصير من حال إلى حال لأمر يريده (جلَّ شأنه)، قال تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

وإلى هذه المعنى يشير علماء الفلك فيرون «أنَّ الأرض تدور حول الشمس مرة واحدة كل سنة، فعند انتقالها من من موضع إلى آخر، يخيّل إلينا وكأنما الشمس من برج إلى آخر، وأنَّ فترة هذه الانتقال تقارب (٣٠) يومًا؛ لأنَّ الأرض تتحرك درجة واحدة تقريبًا في كل يوم فلهذا تكمل (٣٦٠) درجة خلال سنة واحدة، فكيف يشعر بها الإنسان على الأرض؟، ومن هنا فإنَّه يحسبها (الجبال) جامدة قطعًا مع أنَّها تتحرك ضمن أو مع حركة الأرض، أي تمر مرَّ السحاب؛ لأن سرعة السحاب مهما ازدادت فإنَّ الراصد على الأرض لا يدركها على حقيقتها، إنَّما يدركها يتغير موضع السحاب، وتحرك القمر»[3].

بل إنَّ القرآن كله ينطوي على الظاهرتين معًا (الكينونة والصيروة)، (الثابت والمتحول)، (الدائم والمتطور)، إنَّ هذا العرض القرآني للكون في حالتيه يجعل المسلم واحدًا من أشدّ

(١) ينظر: الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، د. حميد مجول النعيمي: ص٣٣٠ (الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م).

(٢) سورة النمل، آية: ٨٨، وينظر: آيات قرآنية تطلّ على العصر، د. عماد الدين خليل: ص٣١ - ٣٣.

(٣) ينظر: الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، د. حميد مجول النعيمي: ص٥١ – ٥٢.

الناس تقدّمية في هذا العالم، وأكثرهم حرصًا على التغيير، والتجديد، والتطور، مع وقوفه على أرض صلبة من الثوابت التي لا تتغير ولا تتبدل»[١].

وثمّة قضايا أخرى من الكشوفات العلمية الحديثة التي توصل إليها علماء (الفلك)، أشار إليها الدكتور عماد الدين خليل في دراساته القرآنية، كالامتداد، والتوسع الكوني، والنجوم الطوارق[٢].

المطلب الرابع: البعد الإصلاحي القرآني عند الدكتور عماد الدين خليل.

من المفاهيم التي ينبغي أن نقف عندها في بيان معنى هذا المصطلح (الاتجاه الاصلاحي)، أو (الاجتماعي) كما يطلق عليه أحيانًا، والذي يدور معناه حول «استلهام المفسر من آيات القرآن الكريم التوجيه والهداية في شؤون الحياة، وما يعترضها مما يمسّ العقيدة والأخلاق أو المعاملات، وما يدخل في بناء المجتمع، وسياسته، واقتصاده، وغير ذلك مما لم يترك القرآن منه شيئًا»[٣]، ويعتمد على التوفيق بين الدين الإسلامي، وقضايا الإنسان المعاصرة، فليس بين الحياة العصرية والإسلام أي تناقض[٤].

ومن المناسب أن ندرك ونفهم أنَّ من مقاصد القرآن الكريم وأغراضه سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة، وحفظ نظامها؛ لأنَّ القرآن أنزله الله تعالى كتابًا لصلاح أمر الناس كافة ... فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية والعمرانية، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه[٥].

تناول الدكتور عماد الدين خليل في كتاباته قضايا الاتجاه الاصلاحي، كالعدل الاجتماعي، والحرية، والسياسة، والاقتصاد، واهتمَّ بقضية العدل الاجتماعي التي أفردها ببحث مستقل تحت عنوان «مقال في العدل الاجتماعي»، فضلًا عن مقالات متعددة تناولت هذا الجانب،

---

(١) ينظر: آيات قرآنية تطلّ على العصر، د. عماد الدين خليل: ص٣١ - ٣٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ص١٢٥ - ١٢٦.

(٣) ينظر: الاتجاه الهدائي في التفسير في العصر الحديث في مصر ، سيد محمود محمد: ١٩ (رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، بإشراف الدكتور محمد إبراهيم شريف).

(٤) ينظر: دراسات قرآنية، د. محمد حسين علي الصغير: ص١٢٦ (مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ط٢، ١٤١٣هـ).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور: ٣٩/١ و٤١، بتصرف.

وقضايا أخرى من الاتجاه الاصلاحي آنفة الذكر.

يشير الدكتور عماد الدين خليل إلى «أنَّ الإسلام يرى أنَّ (الظلم) هو في إخراج الإنسان عن موقعه الطبيعي والأساسي في خارطة الكون، في تدمير إنسجامه مع نواميس العالم والخليقة، في تحويله عن حريته وتوازنه وتوحده إلى العبودية والتأرجح والتمزق، وهذا يأتي دومًا على يد الفئة، أو الطبقة، أو الجماعة، أو الفرد الذي يسعى إلى إلحاق هذه المآسي بالإنسان من أجل أن يتألّه هو في الأرض، ويحقق مطامحه على حساب بني آدم، ... ومن هنا نجد تنبيه القرآن الكريم دومًا على أهمية الأخذ على يد هذه الفئة الظالمة، وإلّا عمّت البلوى كل الناس ظالمين كانوا أو مظلومين، قال تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1].

وفي هذا الاتجاه يتناول قضية مهمة في حياة الإنسان (الجبر والاختيار)، فيقول: «وما دام الإنسان يمتلك العقل الذي يميّز به بين الخير والشر، والإرادة التي (ينّفذ) بها حركته عبر هذا الدرب أو ذاك، فإنَّ مسؤوليته تقع على عاتقه ابتداءً من مرحلتي التصميم والتنفيذ على السواء، ويجيء قدر الله تعالى إيصالًا إلى النهايات التي تنسجم دائمًا مع البدايات، حيث يعرف الله (سبحانه) بعلمه الذي وسع كل شيء الطينة التي اختار الإنسان أن يجبل منها وجوده ومصيره، وقال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾»[2].

ودعا القرآن الكريم إلى «توسيع مفهوم الاختيار الحرّ في ميدان الفكر والعقيدة، فقال تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦][3].

وإذا ما انتقلنا إلى البعد الاجتماعي، وما يحمل بين طياته من معطيات عديدة، نجد أنَّ الدكتور عماد الدين خليل اشار إلى الآفاق البعيدة التي ينبهنا إليها القرآن الكريم في آيات كثيرة كما في «مسألة (التوازن الاجتماعي) فيتحرك المسلمون على ضوئها – على المستويين الفردي أو الجماعي – لاقتحام العقبة، بكل ما يتضمنه (فعل) الاقتحام من قوة، وعنف، وإرادة لا بدَّ منها جميعًا؛ لاجتياز الحاجز ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٥، وينظر: آفاق قرآنية، د. عماد الدين خليل: ص٣٧ - ٣٩.

(٢) سورة الإنسان، آية: ٣، وينظر: آفاق قرآنية، د. عماد الدين خليل: ص١٨٢ - ١٨٣.

(٣) ينظر: حوار في المعمار الكوني، د. عماد الدين خليل: ص١٠٣.

رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٍ ذِي مَسۡغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾﴾[1]، تحرير المستعبدين، وإطعام الجائعين، ذلك هو الهدف الذي يقتحم المسلمون من أجله الحواجز بقوة وعنف، وحزم، وإرادة»[2].

ويرى الدكتور عماد الدين خليل أنَّ القرآن الكريم «يتقدم بنا خطوات واسعة في ميدان (العدل الاجتماعي)، وهي أنَّ الناس مستخلفون في أرض الله تعالى، وأنَّ أموالهم ليست في (ملكيتهم) ابتداءً، إنَّما هي (مال الله) استخلفهم فيه لينظر ماذا يصنعون به، وفي أيّ الوجوه يسخّرون (قيمه)، ويعتمدون (منفعته)، بإرادتهم الخاصة وحريتهم التي منحهم الله إيّاها تمييزًا لهم عن كثير من خلائقه، قال تعالى ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾[3]، وقال تعالى ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ﴾»[4].

ويؤكد القرآن الكريم بدعوة صريحة إلى النبي ﷺ والمؤمنين أنَّ «(ينّظموا) مسألة (توزيع المال) بشكل لا يقود إلى حصره في يد قلة، وحجبه عن الكثرة الساحقة ... وهذا أمر طبيعي تمامًا ما دام القرآن قد حدّثنا – كما رأينا – عن الصورة الكالحة القاتمة للمجتمع الذي تكون كلمته الأولى والأخيرة للمترفين، قال تعالى ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ﴾»[5].

المطلب الخامس: الاتجاه الأدبي عند الدكتور عماد الدين خليل في القرآن الكريم

إنَّ جمالية التعبير الأدبي تكمن في ما يملكه الأديب من ثروة لغوية، إلى جانب حسّ مرهف بما يحيط به من أشياء، يستطيع أن يُعبرَّ عنها بدقة الألفاظ، ويصوّرها من معاني الكلمات أجمل تصوير.

فالتفسير الأدبي هو الذي «يجمع إلى جمال العبارة دقة التصوير، وإلى رشاقة الاسلوب وسلامة التعبير، ويُعنى بالصورة الأدبية للقرآن، ويترصد قضاياه الجمالية في التشخيص

(١) سورة البلد، الآيات: ١١ – ١٦.

(٢) ينظر: مقال في العدل الاجتماعي، د. عماد الدين خليل: ص٥٥ (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

(٣) سورة الحديد، آية: ٧.

(٤) سورة النور، آية : ٣٣، وينظر: مقال في العدل الاجتماعي، د. عماد الدين خليل: ص٦٨ – ٧٠.

(٥) سورة الحشر، آية: ٧، وينظر: المصدر السابق: ص٧١ – ٧٢.

والتمثيل، والإدراك الحسي، ويخلص من وراء ذلك إلى كشف تناسق القرآن، وتحقيق توافقه في النظم والتأليف»[1].

والقرآن الكريم «كان وسيبقى النموذج الذي لا يُبارى في الأدب العربي، فجمال أسلوبه محل إعجاب الجميع في كل العصور، فلغة القرآن تمتاز بالسمة والجلالة، لا بالغواية والتأثير، إنها تأخذ بالقلوب أكثر مما تغري الأسماع، وتثير الإعجاب لا المتعة، وتفحم بالحجة أكثر مما تستثير العواطف، وتجلب السرور الهادئ لا الصاخب»[2].

والذي يبدو لي من مطالعتي لكتب الدكتور عماد الدين خليل أنَّه اعتنى بهذ اللون (الأدبي) الذي يحمل بين جنباته ما يحرك الوجدان، ويخاطب النفس البشرية وما فيها من عقل وروح؛ لغرس معاني الوحي في ضميرها وهي تتحرك على الأرض، وفق معطيات عصرية، ونظرة أدبية، وبقيم إسلامية وإنسانية تتطلع لتغيير القناعات والسلوك للمسلم المعاصر، وهو يواجه كثيرًا من المتغيرات في عالم أصبح اليوم قرية مفتوحة، ويسوده فضاءً غير منضبط.

ومن تأملات الدكتور عماد الدين خليل الأدبية في القرآن الكريم، تأمله في الألوان التي تبعث في النفس البشرية البهجة والسرور، وتعكس تفاعل الروح ونفحاتها مع جمال الكون المسخّر للإنسان.

ففي قوله تعالى ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[3]، يشير الدكتور عماد الدين خليل إلى ثنائية اللون الأبيض، والأسود ودلالتهما، فيقول: «إنَّ اللون الأبيض والأسود ورد في القرآن الكريم ثماني مرات، وهو في كل مرة يدّل على الخير والفرح والنور والمتعة والإبداع الإلهي في العالم ... ومنذ البدايات الأولى يوّظف اللونان (الأبيض والأسود) في ساحة الطبيعة، وفي دائرة السنن الإلهية للكون؛ لكي يؤديا هذه المرّة مهمة تعبدية وهي الإعلان لجماهير الصائمين عن انتهاء الليل ومطلع فجر جديد، كي يبدؤوا رحلتهم مع الله تعالى، تلك الرحلة الروحية التي تسمو بالنفس وتزكيتها، ويكّفوا عن الطعام الشراب وسائر الشهوات ... وهنا يتقابل الأبيض مع الأسود، والنهار مع الليل تقابلًا مؤثرًا بين الخيطين في المسافة الممتدّة التي تتجاوز فيها حافات الليل والنهار،

(١) ينظر: دراسات قرآنية، د. محمد حسين علي الصغير: ص١٢٥.

(٢) ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبدالله دراز: ص١٠٢ (مكتبة الإيمان، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

والتي تتضمن بُعدًا جماليًا يلتقي مع البعد التشريعي»[١].

ويرى الدكتور عماد الدين خليل أنَّ اللون الأخضر يشير إلى الانبعاث والتكاثر والانتشار، كما في قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[٢]، دلالة على البعث، والحياة والنشور قبالة الضمور، والتلاشي، والانكماش، ويوسف الصديق (عليه السلام)، الذي أوتي بعضًا من علم الله، والذي أتاح له قدرة فذّة على كشف الرؤى وتأويلها؛ إذ يكشف للسائلين عن معنى هذا التقابل الذي يفتح رموزه على عالم الواقع؛ لتجازو المحنة التي تلمح إليها رموز الرؤيا»[٣].

أمّا الصوت ودلالته في القرآن ورؤيته الأدبية عند الدكتور عماد الدين خليل فيرى أنَّ الصوت له محاور يدور حولها، ومن أبرزها دلالة إيجابية، وثانيها دلالة سلبية، والمحور الثالث يتعلق بخلق الكون والطبيعة، أما الرابع فيُعنى بالمعجزات وأساليب العقاب، والمحور الخامس كان لليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب[٤].

وتشير الدراسات الحديثة إلى «التناسب بين الاستعمال القرآني في اختيار اللفظ المناسب والسياق الذي ورد فيه، وتظهر ألفاظ مستوى الصوت في القرآن الكريم وتنوعها، دقة التعبير القرآني المناسب في السياق الذي استدعى ذلك اللفظ دون غيره»[٥].

ففي معرض المعجزات والآيات الدالة على الخالق العظيم سبحانه يأتي القسم الإلهي على معجزة النطق ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٦]، وترتبط بالنطق ظاهرة أخرى لا تقل إعجازًا، هي اختلاف اللغات بين أمة وأمة، وبين جماعة وجماعة أخرى بهدف التنويع

(١) ينظر: حول استراتيجية الأدب الإسلامي (محاولات في التنظير والدراسة الأدبية)، د. عماد الدين خليل: ص٤٠ - ٤١ (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م).

(٢) سورة يوسف، آية: ٤٣.

(٣) ينظر: حول استراتيجية الأدب الإسلامي (محاولات في التنظير والدراسة الأدبية)، د. عماد الدين خليل: ص٤٧.

(٤) ينظر: دراسات قرآنية. د.عماد الدين خليل: ص١٧٢.

(٥) ينظر: الألفاظ الدالة على مستويات الصوت في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، د. علي عبد الله أحمد الحريرات: ص١٩٦ (بحث منشور في مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، ديوان الوقف السني، العراق، العدد (٤٨) ج١، حزيران، سنة ٢٠٢٤م).

(٦) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

الذي قامت عليه بنية السموات والأرض، والعالم والحياة... فتحت مفهوم الوحدة والتنوع، والذي يطبع الحضارة البشرية بطابعه الواضح، ويدفعها إلى التنافس والتبادل والعطاء، قال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾[1].

وبهذه الأمثلة في القرآن الكريم ودلالتها في مفهوم الدكتور عماد الدين خليل، ونظرته الأدبية من منهج السياق القرآني، تتضح لنا رؤيته الأدبية التي تجمع جمال الكلمة وسياقاتها، وأهمية اللون ودلالته وإيحاءاته المترامية الأطراف، وثنائياته وما نتطوي عليه من معاني، مع ما يحمله الصوت من دلالات وإيحاءات تطبع الحياة والكون والطبيعة بطبيعة الجمال، والتناسق، والتنوع.

(١) سورة الروم، آية: ٢٢، وينظر: دراسات قرآنية. د.عماد الدين خليل: ص١٧٣.

الخاتمة

تبيّن لي من البحث الآتي:

- إنَّ كتابات الدكتور عماد الدين خليل ودراساته القرآنية كانت تدور حول اتجاهات متعددة في التفسير، منها: الاتجاه التاريخي، والاتجاه العلمي، والاتجاه الإصلاحي، والاتجاه الأدبي.

-تميّزت بعض كتابات الدكتور عماد الدين خليل بقصرها، فكان الجانب المقالي يغلب عليها وخاصة ما يتعلق بالدراسات القرآنية؛ لأنَّه يرى أنَّ القارئ لم يعد له نفس طويل مع الكتاب، فحاول أن يقدّم المادة العلمية عن طريق مقال مرّكز يوصل الفكرة.

- اهتمّ بدراسة التاريخ عمومًا، والتاريخ الإسلامي خصوصًا، وحاول توظيف دراسته وتخصصه في تفسير التاريخ من نظرته وتأمله في آيات القرآن الكريم، فأبدع في معالجة هذا الاتجاه بنظرة المؤرخ الإسلامي، فبيّن عوامل نهوض الحضارات ونشأتها وتطورها، وأسباب اندثارها، فكان رائدًا من رواد التفسير الإسلامي للتاريخ في العصر الراهن.

- عالج قضايا عصرية تمر بها المجتمعات المسلمة، ومن أبرزها قضية العدل الاجتماعي، وتوزيع الثروة بين الناس، وبيان طريقة القرآن الكريم في التحذير من الترف والبطر.

- حاول التوفيق بنظر ثاقب في آيات الآفاق والأنفس، وأنَّه لا تناقض بين العلم والقرآن، وما تحمله آيات القرآن من دلالات على إعجازه العلمي، فضلًا عن حضّه المسلمين على السعي لمواكبة العلوم الحديثة، والاهتمام بالبحث التجريبي.

- عنايته وتعلقه بالأدب ودراساته، ونظرته إلى الكون والطبيعة بعين الأديب الذي كتب وأبدع في كتاباته، واستطاع أن ينقل هذا الاتجاه (الأدبي) في دراساته القرآنية فكان اهتمامه بجمال التعبير القرآني، والألوان والصوت خير مثال على ذلك.

- ما قدمه الدكتور عماد الدين خليل في دراساته القرآنية يعكس رؤية معاصرة للمفاهيم القرآنية، التي أراد لها أن تكسر حواجز الزمن والتاريخ، وتطلّ على العصر بصورة واضحة المعالم، ومترامية الأطراف، وتشكل دراساته القرآنية نسبة السدس من كتاباته.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الاتجاه الهدائي في التفسير في العصر الحديث في مصر، سيد محمود محمد (رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، بإشراف الدكتور محمد إبراهيم شريف).

٢. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شريف (دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

٣. الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث، د. عبد المجيد محمود (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م).

٤. أشهد أن لا إله إلا الله، (سيرة ذاتية)، د. عماد الدين خليل (دار ابن كثير، بيروت، ط١٤٤٠،١هـ، ٢٠١٩م).

٥. الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، دراسة في الإشكالات والمقتضيات، د. محمد رشيد بو غزالة (بحث منشور في مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، ديوان الوقف السني، العراق، العدد (٢٧)، الجزء الخامس، سنة ٢٠١٩م).

٦. آفاق عودة الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل، د. عبد الحليم عويس (دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م).

٧. الألفاظ الدالة على مستويات الصوت في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، د. علي عبد الله أحمد الحريرات، (بحث منشور في مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، ديوان الوقف السني، العراق، العدد (٤٨) ج١، حزيران، سنة ٢٠٢٤م).

٨. آيات قرآنية تطلّ على العصر، د. عماد الدين خليل (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م).

٩. التحرير في تاريخ التفسير، د. أحمد الشيمي (دار الهاني، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

١٠. التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠١٢م).

١١. التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين (دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م).

١٢. التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل (دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٩١م).

١٣. التفسير نشأته – تدرجه - تطوره، أمين الخولي (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٢م).

١٤. تفسير وخواطر الإمام، الشيخ محمد متولي الشعراوي (دار النور، القاهرة، ٢٠١٠م).

١٥. حوار في المعمار الكوني، د. عماد الدين خليل (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م).

١٦. حول استراتيجية الأدب الإسلامي (محاولات في التنظير والدراسة الأدبية)، د. عماد الدين خليل (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م).

١٧. حول إعادة تشكيل العقل المسلم، د. عماد الدين خليل (مبطعة منير، بغداد، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).

١٨. الحيوان في القرآن الكريم، د. زغلول راغب محمد النجار (دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م).

١٩. دراسات قرآنية، د. عماد الدين خليل (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م).

٢٠. دراسات قرآنية، د. محمد حسين علي الصغير (مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ط٢، ١٤١٣هـ).

٢١. في دائرة الضوء (مقالات إسلامية)، د. عماد الدين خليل (دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م).

٢٢. الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، د. حميد مجول النعيمي (الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م).

٢٣. مدخل إلى الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل (المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م).

٢٤. مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبدالله دراز (مكتبة الإيمان، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).

٢٥. مدخل إلى موقف القرآن من العلم، د. عماد الدين خليل (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

٢٦. مع القرآن في عالمه الرحيب، د. عماد الدين خليل (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.

٢٧. مقال في العدل الاجتماعي، د. عماد الدين خليل (دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

٢٨. موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، الدكتور عمر محمد الطالب (مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).

Sources and references:

Holy Qur'an

1. Al-Hada'i direction in interpretation in the modern era in Egypt, Seyyed Mahmoud Muhammad (unpublished master's thesis, College of Dar Al-Uloom, Cairo University, 2002, under the supervision of Dr. Muhammad Ibrahim Sharif).

2. Tendencies of renewal in Tafsir al-Qur'an al-Karim, d. Mohammad Ibrahim Sharif (Dar al-Salam, Cairo, 1st, 1429 AH, 2008 AD).

3. Jurisprudential trends among the authors of Hadith, d. Abdul Majeed Mahmoud (Al-Khanji Library, Cairo, 1399 AH, 1979 AD).

4. Ashhadh An la ilaha ila Allah, (biography), d. Emad al-Din Khalil (Dar Ibn Kathir, Beirut, 1, 1440 AH, 2019 AD).

5. Al-Ijaz al-Alami for the Holy Qur'an, study of problems and requirements, d. Muhammad Rashid Bu Ghazaleh (Discussion of charter in the magazine of the College of Imam Al-Azam Al-Jamaa, Diwan Al-Waqf al-Sunni, Iraq, issue (27), part 5, year 2019).

6. Afaq Odeh al-Haadar al-Islami, d. Emad al-Din Khalil, d. Abdul Halim Owais (Dar al-Nashar for Universities, Cairo, Volume 1, 2009).

7. Al-Alfaaz al-Dalah on the levels of sound in the Holy Qur'an (study of semantics), d. Ali Abdullah Ahmed Harirat, (Discussion of charter in the magazine of the College of Imam Al-Azam al-Jamaa, Diwan Al-Waqf al-Sunni, Iraq, issue (48) C1, June, year 2024 AD).

8. The Qur'anic verses of Tatal al-Asr, d. Emad al-Din Khalil (Dar Ibn Kathir, Beirut, Volume 1, 1439 AH, 2018 AD).

9. Al-Tahrir fi Tarikh al-Tafsir, d. Ahmed Al-Shaimi (Dar Elhani, Cairo, Volume 1, 1430 AH, 2009 AD).

10. Al-Tahrir and Al-Tanweer, Sheikh Muhammad al-Tahir bin Ashour (Dar Ibn Hazm, Beirut, Volume 1, 2012).

11. The artistic expression in the Qur'an, d. Bakri Sheikh Amin (Dar al-Sharouq, Cairo, 1st, 1393 AH, 1973 AD).

12. Al-Tafsir al-Islami for history, d. Emad al-Din Khalil (Dar al-Alam Lalmlayin, Beirut, 5th volume, 1991 AD).

13. Al-Tafsir Nashateh - Tadrejah - Tahwarehteh, Amin Al-Khouli (Dar al-Kitab al-Labbani, Beirut, Volume 1, 1982).

14. Tafsir wa Khawatar al-Imam, Sheikh Mohammad Mutauli al-Shaarawi (Dar al-Nour, Cairo, 2010).

15. Hawar fi al-Mamar al-Kuni, d. Emad al-Din Khalil (Dar Ibn Kathir, Beirut, Volume 1, 1426 AH, 2005 AD).

16. About the strategy of Islamic literature (Attempts in Al-Tanazir and Al-Darasha al-Adabiyah), d. Emad al-Din Khalil (Dar Ibn Kathir, Beirut, Volume 1, 1433 AH, 2012 AD).

17. Around the reshaping of the Muslim mind, d. Emad al-Din Khalil (Mobta'a Munir, Baghdad, Volume 1, 1405 AH, 1985 AD).

18. Al-Hawain in Al-Qur'an al-Karim, d. Zaghloul Ragheb Mohammad Al-Najjar (Dar al-Marafah, Beirut, Volume 1, 2006).

19. Koranic studies, d. Emad al-Din Khalil (Dar Ibn Kathir, Beirut, Volume 1, 1440 AH, 2019 AD).

20. Quranic studies, d. Muhammad Hossein Ali Al-Saghir (Mekat Al-Mahad Al-Islami, Iran, Volume 2, 1413 AH).

21. In the spotlight (Islamic articles), d. Emad al-Din Khalil (Dar al-Salam, Cairo, 1st, 1435 AH, 2014 AD).

22. The universe and secrets in the verses of the Holy Qur'an, d. Hamid Majul Al-Nu'aimi (Al-Dar al-Arabiya Lul-Uloom, Beirut, Volume 1, 2000).

23. Introduction to Islamic History, d. Emad al-Din Khalil (Arabic Cultural Center, Maghreb, Volume 1, 1426 AH, 2005 AD).

24. Introduction to the Holy Qur'an, d. Muhammad Abdullah Daraz (Al-Iman Library, Cairo, Volume 1, 1432 AH, 2011 AD).

25. The entry to the position of the Qur'an in the knowledge, d. Emad al-Din Khalil (Dar Ibn Katheer, Beirut, Volume 1, 1429 AH, 2008 AD).

26. With Al-Qur'an in Alame al-Rahib, d. Emad al-Din Khalil (Dar al-Alam Lalmalayin, Beirut, volume 3, 1984.

27. Essay on al-adl al-sahiv, d. Emad al-Din Khalil (Dar Ibn Kathir, Beirut, Volume 1, 1429 AH, 2008 AD).

28. Encyclopaedia of Al-Alam al-Mosul in the 19th century, Dr. Omar Muhammad Al-Taleb (Al-Mosul Studies Center, Al-Mosul University, Volume 1, 1428 AH, 2007).